برنامج (أخلاق اجتماعية)

الدكتور محمد خير الشعال

http://dr-shaal.com

الحلقة الثالثة عشرة:
النصيحة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلَّم على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين، أرحّب بكم -أيها الإخوة المستمعون- في برنامجكم "أخلاق اجتماعية"، نتدارس فيه بعض الأخلاق الاجتماعية، الإيجابية منها والسلبية، لنبيّن حَسَنَها، ونحذّر من قبيحها وسيئها.

طالب دمشقي مجتهد، نجح في الثانوية العامة، وأراد أن يملأ بطاقة المفاضلة بالفروع العلمية المرغوبة، كان قد كتب في البطاقة أنه يريد التسجيل في كلية الطب في جامعة دمشق ثم إن لم يقبَل ففي جامعة حلب ثم في جامعة تشرين ثم دون بعدها كلية طب الأسنان في جامعة دمشق ثم في جامعة حلب ثم في تشرين ثم في جامعة البعث في حمص، ثم دون بعدها كلية الصيدلة ثم كليات الهندسة، وقبل أن يسلّم البطاقة لمركز التسجيل استنصح أحد العقلاء المربين، فسأله: ما رأيك في الخيارات التي سجلتها؟ فأشار عليه بقوله: بالنسبة لكلية طب الأسنان إن لم يتح لك الدراسة في دمشق فأرى أن تكتب بعدها جامعة البعث في حمص قبل جامعة حلب؛ لأن مدينة حمص أقرب إلى دمشق، وبناء عليه فسفرك وعودك يكون أسهل، ثم الأسعار في مدينة حمص أرخص من حلب، فبذلك توفر على نفسك وعلى أهلك المال!! وبالفعل عمل الطالب بالنصيحة.

وخرجَت نتائج المفاضلة وقُبِل في كلية طب الأسنان في جامعة البعث في حمص، وأمضى سنوات الدراسة الخمس.

يقول هذا الطالب: لقد قارنت نفقاتي خلال هذه السنوات الخمس مع طالب مثلي درس في حلب، فوجدت أني وفَّرت على نفسي وعلى أهلي ما يزيد على خمسمئة ألف ليرة سورية.

قد تتغير حياة إنسان بكلمة منك، بجلسة معك.

عنوان هذه الحلقة: "الدين النصيحة"، وهذا الاسم مأخوذٌ من الحديث الصحيح عن تميم الدّاري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « **الدِّينُ النَّصِيحَةُ**» قُلْنَا لِمَنْ قَالَ: «**لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**» [البخاري ومسلم]

اختصر سيدنا محمد ﷺ الدين كله بالنصيحة، فإذا انتشرت النصيحة فالدين بين أهله بخير، وإذا غابت النصيحة وصمت أهل الحق وامتنع الآمرون بالمعروف عن الأمر به وامتنع الناهون عن المنكر عن النهي عنه فحال الدين وأهله في خطر.

ومعنى الحديث: «**الدين النصيحة**» أن النصيحة عماد الدين وقوامه، كقوله «**الحج عرفة**» أي عماد الحج وقوامه عرفة.

قال الحافظ أبو نُعيم: هذا حديثٌ له شأن، وذكر محمد بن أسلم الطوسي: أنه أحد أرباع الدين -أي أنه أحد الأحاديث الأربعة التي تجمع أمور الدين- فعارضه الإمام النووي وقال: بل على هذا الحديث وحده مدار الدين.

من هنا قال الإمام الغزالي: (إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر -النصيحة- هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهمة التي ابتعث الله لها النبيين، ولو طوي بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة واضمحلت الديانة وعمَّت الفتنة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة واستشرى الفساد واتسع الخرق وخربت البلاد وهلك العباد ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد).

- **ماذا تعني كلمة النصيحة:**

النصيحة في اللغة: مشتقة من فعل نصح ومعنى نصح خلصَ و أصلح، يقال خلصَ الرجل ثوبه إذا خاطه فشبهوا فعل الناصح في ما يتحراه من صلاح المنصوح له بما يفعل راقع الثوب عندما يسدُّ الخلل، فالناصحون يسدُّون الخلل، وإذا لم يتناصح الناس بقي الخرق في المجتمع.

ويقال: نصحت العسل إذا صفيته من الشمع فشبهوا تخليص القول في النصيحة من الغش بتخليص العسل من الخلط. والناصح في اللغة: النقي الخالص من كل شيء، ومن هنا كانت النصيحة تحمل في معناها الإخلاص والصدق والنقاء والصراحة والصفاء والإصلاح.

قال ابن الأثير: النصيحة كلمة يعبر فيها عن إرادة الخير للمنصوح له.

حدث محمد بن سوقة -أحد علماء الكوفة- جماعة من زواره قال: ألا أسمعكم حديثاً لعله ينفعكم كما نفعني، قالوا: بلى. قال: نصحني عطاء بن أبي رباح فقال: يا ابن أخي إن من قبلنا كانوا يكرهون فضول الكلام، قلت: وما فضول الكلام عندهم؟ فقال: كانوا يعدّون كل كلام

فضولاً ما عدا كتاب الله عزّوجل أن يقرأ ويفهم، وحديث رسول الله ﷺ أن يروى ويُدرى، أو أمراً بمعروف أو نهيا عن منكر، أو علما يتقرب به إلى الله تعالى، أو أن تتكلم بحاجتك ومعيشتك التي لا بد لك منها.

قال: ثم حدق إلى وجهي وقال: أتنكرون ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾[الانفطار:10-11] وأن مع كل منكم ملكين ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[ق:17-18] ثم قال: أما يستحي أحدنا إذا نُشرت عليه صحيفته التي أملاها صدر نهاره فوجد أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا أمر دنياه.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **« حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ»** قِيلَ مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: **«إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ»** [مسلم]

عَنْ جَرِيرٍ قَالَ: بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ. [مسلم]

وقال النبي ﷺ: **« إذا استنصح أحدكم أخاه فلينصح له »** [البخاري]

عن أبي أمامة ▲ قال: قال رسول الله ﷺ: **« قال الله عز وجل: أحب ما تعبدني به عبدي النصح لي»** [أحمد]

- **ما حكم النصيحة في الإسلام؟**

الجواب: النصيحة واجبةٌ على كل مَن قدر عليها، وهذا على العموم، لكنها قد تصير في بعض الأحيان مباحة وقد تصبح مكروهةً أو حراما في حالات، وإليك بيان هذه الحالات:

أولاً: إذا علمت أن نصحَك للمرء يجعله يترك منكراً وينتقل إلى معروف وخير فالنصيحة واجبة وتأثم إن لم تنصحه.

ثانياً: إذا علمت أن نصحَك للمرء يجعله يترك المنكر إلى منكر أقل منه فالنصيحة هنا أيضا واجبة.

ثالثاً:إذا علمت أن نصحَك للمرء يجعله يترك المنكر ليستبدله بمنكر مساوٍ له في الرتبة فالنصيحة هنا مباحة إن شئت نصحتَ وإن شئت لم تنصح.

رابعاً: إذا علمتَ أن نصحَك للمرء يجعله لا يترك المنكر، بل تعتقد أنه سيرتكب منكراً أكبر منه فالنصيحة هنا تحرم له منك.

- **فوائد النصيحة:**

ختاماً: هذه بعض فوائد النصيحة، وللنصيحة فوائد كثيرة أذكر لكم ثلاثة فيها خيري الدنيا والآخرة:

- **الفائدة الأولى: بالتناصح يرحمنا الله:**

إذا فشت النصيحة بيننا وأفاد كبيرُنا صغيرَنا وأعان عالمنا جاهلَنا...

وإذا أمرنا بالمعروف وأتمرنا به ونهينا عن المنكر وانتهينا عنه..

عند ذلك يرحمنا الله وينظر الله إلينا ويدركنا بمعونته بدليل قوله سبحانه: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾، وفي آخر الآية: ﴿ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة71]

ذلك لأنك بنصيحتك لأخيك ترحمه من أن يقع في زلة أو يهلك في ردى أو يتلبّس في ورطة، ولئن رحمته ليرحمنك الله؛ إذ الراحمون يرحمهم الرحمن، ومن رحم أهل الأرض رحمه مَن في السماء.

- **الفائدة الثانية: بالنصيحة نحقق الفلاح والنجاح لأنفسنا ولأمتنا:**

إذا نصح المعلم التلميذ ونصح البائع المشتري ونصح المدير الموظف...

إذا بذل أهل الفكر فِكرَهم نُصحاً وإرشاداً لأبناء أمتهم وتحرك الناس وتشاركوا النصيحة.. نجت الأمة وتقدمت وحمد آخرُها أولَها وتلاقت الأجيال وتعاونت..

أما إذا حبس المعلم علمه عن تلامذته أثرةً وأنانية، وغش البائع المشتري طمَعاً ونهماً.. وجهّل المدير الموظف حتى يظلَّ تحت جناحه..

إذا ضن أهل الفكر بفكرهم، وضن أهل العلم بعلمهم، وقلَّت النصيحة بين الناس.. تداعت الأمة للسقوط، ولعن أخرُ هذه الأمة أولها، وتصارعت الأجيال وتصادمت.

بالتناصح نحقق الفلاح والنجاح ومن دون تناصح نذهب نحو الهاوية.

من أمر بالمعروف ونصح الناس نجح وأفلح في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران104]

وفي سورة العصر: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ *﴾[العصر 1-3] تواصوا على وزن تفاعل، فيها معنى المشاركة، وكرر الله عزوجل كلمة ﴿تَوَاصَوْا﴾ توكيداً.

وهذه هي الفائدة الثانية.

- **الفائدة الثالثة: بالتناصح تنال الأجر العظيم:**

قال رسول الله ﷺ: « **مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنْ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنْ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا**» [مسلم] ومهما نصحت إنساناً نصيحة نافعة في دينه أو دنياه انتفع بها وعمل بقي لك أجرها ما دام نفعها.

هذه بعض فوائد النصيحة:

أولها: بالتناصح يرحمنا الله.

ثانيها: بالتناصح نحقق الفلاح والنجاح لأنفسنا ولأمتنا.

ثالثها: بالتناصح تنال الأجر العظيم والحسنات المتاوصلات.

دمتم في أمان الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته